المشرف التربوي في جمعية الشبان المسلمين
شاعر الخليل

الباب الأول

الطب العربي الإسلامي

1- الطب العربي الإسلامي ... إبداع بلا حدود

1-1 الطب في العصور القديمة

تعدّ معرفة الإنسان بالطب قديمة قدم البشرية، ولم يكن الطب في زمن من الأزمان وليد بيئة بحد ذاتها، فهو وليد بيئات متعددة. وحاجة الإنسان إلى التداوي ما هي إلا نزعة داخلية لما قد يلم به من أذى، وكانت منطقة الشرق كالصين والهند ومصر

شكل 1-1: أبقراط وابن سينا وجالينوس

القديمة وبلاد الرافدين أكثر البلدان انتشاراً لمهنة الطب، وكان فيها طرق ووسائل طبية تتبع لمعالجة الحالات المرضية المختلفة وعلى أسس علمية سليمة إلى حدٍ ما. ومع ذلك فقد شاب طرق العلاج القديمة كثير من البدع والخرافات كالتمائم، والشعوذة، والسحر، وكان الإنسان القديم يلجأ إلى السحر والآلهة عندما يعجز عن الشفاء من المرض الذي ألم به. وكانوا يعزون المرض إلى الأرواح الشريرة أو غضب الآلهة وقوى الشر. مما جعلهم يقدمون القرابين للآلهة لعلها ترضى عنهم (حسب اعتقادهم الباطل)، والتمسوا وساطة الكهان حتى ينالوا رضى الآلهة عنهم. و كان الطب القديم يعرف بطب النساء، فالنساء أول من تعاطين مهنة الطب وفن العلاج وذلك بحكم عملهن المباشر بالفلاحة والزراعة أكثر من الرجال. فكن وما زلن أفضل آسيات للرجال على مر العصور (مرحبا 1998م). ويظهر شكل 1-1 صورة لكبار الأطباء القدامى وهم من يسار إلى يمين الصورة جالينوس، وابن سينا، وأبقراط.

1-1-1 الطب السومري

يرى معظم المؤرخين أن بلاد الرافدين أول مهد للحضارات القديمة، فقد أشتهر السومريون في الصناعات الطبية المختلفة، خاصة في العلاجات التي تساعد على إزالة الألم بوساطة الماء، أو النباتات أو حتى بوساطة الضغط، ولعل من الطرق التي كانت متبعة عند السومريين لإزالة الألم عند الأطفال أثناء الختان هي طريقة الضغط على الشريان السباتي carotid artery الذي يمر بالرقبة (إن الضغط على كلا الشريانين السباتيين فيهما درجة من الخطورة؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى الإغماء) حيث إن الضغط على هذا الشريان يمنع مرور الألم والشعور به.

شكل2-1: مخطوطة سومرية تبين وجبات الطعام للجند

إلا أن الطب السومري كان في معظم الأحيان مشوباً بالأباطيل والخرافات، فهذا النوع من الطب يعد طباً ثيوقراطياً Theocracy، أي أنه يجمع ما بين التداوي بالأدوية والتمائم والتعاويذ، ولا عجب بالنسبة للسومريين حيث أنهم كانوا يعدّون الآلهة مصدرٌ للخير والشر، وأن الأمراض البشرية ما هي إلا دلالات على سخط الآلهة ومقتها . ويظهر الشكل 2-1مخطوطة من المخطوطات السومرية القديمة.

أما الطب البابلي القديم فقد برع في علاج و تبويب الأمراض، فمثلاً مرت عبارات في المخطوطات البابلية القديمة تعطي شرحاً مفصلاً لطريقة التبويب، ومن أمثلة ذلك: "إذا تألم الإنسان من عينيه"، أو " إذا مرض الإنسان برئتيه "، أو "قد يكون المريض مصاباً باحتباس أو إمساك أو ضيق في التنفس، أو مرض، أو يرقان، أو لعنة، أو روماتيزم، أو يد، أو روح، أو مسه من الشيطان المسمى رفع رأس الشر ". ولأن الطب البابلي غلب عليه التعاويذ والشعوذة، فقد وردت عندهم أسماء لأرواح مختلفة ولهذه الأرواح قوى غير محدودة (حسب زعمهم)، ولعل من

الطرائف العلاجية الروحية عند البابليين أنه يتوجب معرفة الذنب المقترف من قبل المريض قبل الدخول في علاجه، وذلك لاعتقادهم أن المريض يكون في قبضة الآلهة، وكان لهذا العلم كهنة خاصة يدعون ((بارو)) تخصصوا في تفسير الطوالع على أساس تنبؤات مزعومة، وكان العلاج عندهم يتم على أساس تقديم القرابين، و إقامة الصلوات والتعاويذ والطقوس السحرية للتخلص من المرض. أما طرق استعمال العلاج المادي فكانت كثيرة عند البابليين، ومن أمثلة ذلك أنهم استعملوا الكبريت لعلاج الأمراض الجلدية، وعرق السوس لعلاج السعال(أحمد شمس الدين 1995).

2-1-1 الطب المصري القديم

ويختلف الطب المصري عن الطب البابلي فهو يخلوا من الشعوذة، والتعاويذ، وقلما يحتوي على السحر، فبعد انهيار مملكة بابل ظهرت الحضارة المصرية القديمة، وبدأ العصر الذهبي الطبي في مصر القديمة في فترة (تحوت) الذي كان يلقب بإله الحكمة (كما يزعمون) وكان يرمز له برأس طير ولعل من أشهر أطباء مصر القديمة (إمحوتب) وزير الملك (زوسر)، فقد كان إمحوتب (شكل3-1) طبيباً، ومهندساً ومعمارياً، وفيلسوفاً، وزرع النباتات الطبية، وحفر الأسنان، وتوجها بالذهب وجبر الكسور، وعالج لدغات الأفعى، كما اشتهر الطب المصري القديم بالبرديات ولعل من أشهرها بردية أدوين سميث (شكل4-1)، والتي يرجع أصلها إلى الألف الثالث قبل الميلاد، ومما تمتاز به البرديات هو خلوها من الشعوذة والسحر، كما وتهتم

شكل 3-1: أمحوتب ابو الطب المصري القديم

البرديات بدقة الملاحظة، وامتازت هذه البردية (بردية إدوين) أيضاً بطريقة معالجة الكسور بطرق دقيقة، مع إعطاء الوصف التشريحي للحالة المرضية.

ومن البرديات الأخرى بردية إبرز Ebres المدونة عام 1550 (ق.م) والتي اكتشفها العالم الألماني إبرز عام 1862م، وتحتوي هذه البردية على 877 وصفة طبية، ووصفت بردية إبرز الأورام، والأكياس، والخراريج، و كيفية علاجها، كما ووصفت البردية جراحة الأسنان وطرق حشوها. يبين شكل رقم 5-1 أهم الأدوات المستعملة في الطب المصري القديم (المراجع السابقة).

شكل4-1: مقطع من بردية إدوين سمث

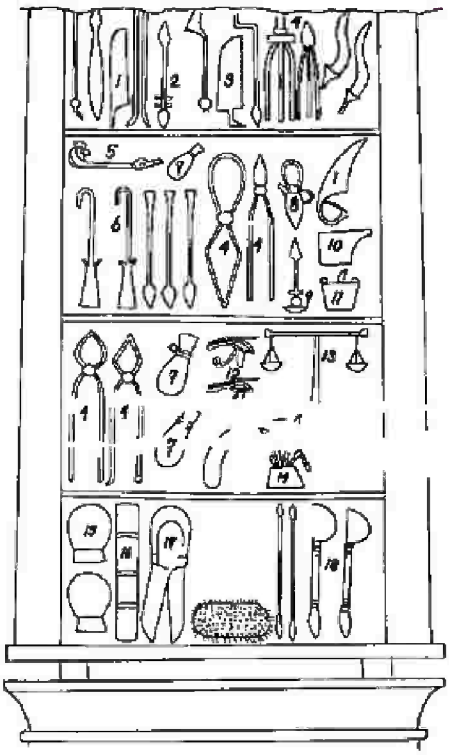

شكل 5-1: بعض الادوات الجراحية المدونة على جدران المعابد في الطب المصري القديم

3-1-1 الطب الصيني

شكل6-1: الإمبرطور الأصفر

يعدّ الطب الصيني من العلوم الطبية التي حافظت على بقائها إلى درجة كبيرة حتى عصرنا الحاضر مقارنة مع ما جُلِبَ من الحضارات الأخرى، فقد دُونت الأفكار الطبية الصينية في كتاب قيم يدعى تحفة الإمبراطور الأصفر(شكل6-1) في الطب الداخلي (Huang Di Nei Jing)، ومن أبرز القيم والمفاهيم التي وردت في هذا الكتاب والتي يعتمد عليها الطب الصيني هي مفهوم الين واليانغ أي السالب والموجب، ومفهوم العناصر الخمسة (الماء، والتراب، والمعدن، والنار، والخشب) ونظرية تأثير الطبيعة على الصحة. أما مفتاح الصحة والعافية حسب الطب الصيني فهو أن يعيش المرء في تناغم مع هذه العناصر والمفاهيم، ومن أروع هذه المفاهيم مفهوم القوتين المتضادتين الين واليانغ (Yang Yin) أي أن لكل شيء في الكون له ما يقابله: فللنور الظلام، وللصعود الهبوط، وللذكر الأنثى، وللحرارة البرودة، وتباهى الأطباء الصينيون بالتشخيص بطرق متعددة لتحديد العلة والمرض، ومن طرق التشخيص لديهم التشخيص بالنبض والضغط (شكل 7-1)، و الفكرة، والصورة، والتشخيص السمعي، والتشخيص الروحاني، والتشخيص بالرائحة. وسيتم بيان ذلك بالتفصيل في الأبواب القادمة.

شكل 7-1: الضغط بالاصبع إحدى الطرق الصينية للعلاج

4-1-1 الطب الهندي

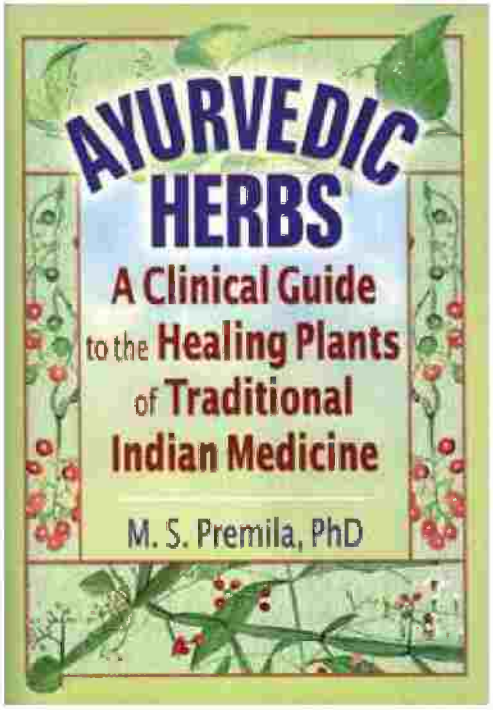

شكل8-1: كتاب في الطب الأيورفيدي

برعت كتب الحكمة الهندية (والتي تدعى vidas) منذ أكثر من 5000عام بتدوين العلوم الطبية، بل وفاقت نظيرتها الصينية في كثير من المجالات، ولعل من الملفت للنظر في العلاجات الهندية أنها اعتمدت على العلاج بالأعشاب والماء، فكان الماء يعدّ من أهم العلاجات عندهم. ويعرف الطب الهندي بالأيورفيدا ayurveda والتي تعني علوم الحكمة، وكانت هذه العلوم مقتصرة في بادئ الأمر على كهنة المعابد، والطبقة الحاكمة العليا، والأشراف، أو النبلاء، لذلك فإن العلوم الطبية الهندية بقيت طي الكتمان لفترة زمنية طويلة، ومن ثم بدأت بالتسرب إلى العامة وصارت تستخدم من قبل الجميع فيما بعد. وللطب الأيورفيدي فضل كبير على سائر علوم الطب في الصين، وفارس، والعرب، فبوذا الذي ظهر في هضبة التبت أثناء ذروة تقدم الطب الأيورفيدي أخذ الكثير من تعاليم الطب الأيورفيدي إلى بلاد الصين، كما أن التجار العرب كانت تربطهم علاقات قوية مع الهند وكذا الحال مع الإغريق والرومان. ولعل من أروع ما تقدم به الطب الهندي هو مفهوم العقل أو الوعي، و الوعي حسب الطب الأيورفيدي هو منبع كل أوجه الوجود (كما يزعمون)، وتتجلى الطاقة في العناصر الخمسة وهي: الأثير، و الماء، والهواء والتراب والنار. وللطاقة حسب الطب الهندي سبعة مراكز في الجسم، و إذا حصل خلل. في هذه المراكز حدث المرض، كما وأبدع الطب الأيورفيدي (شكل 8-1) في العلاج بالأعشاب، وطرق التغذية العلاجية، وشرحوا بدقة الجهاز الهضمي والمشكلات التي تنجم عن الأكل، بل وحرموا الزواج من الشخص الذي عنده بواسير، واعتمدوا أثناء العلاج خلط الأذواق المتنوعة من الأغذية في الوجبة

نفسها، فالوجبة الغذائية الصحية يجب أن تحتوي على المذاق الحلو، والحامض واللاذع، والمر، والمز كي يحدث توازناً في الجهاز الهضمي، فلا عجب إذا قدم لك وجبة هندية أن ترى وتتذوق فيها جميع الأذواق في الوجبة نفسها، وبرع الطب الهندي في إنتاج العقاقير، وحذر من الإفراط باستخدامها. ومن أشهر ما برع فيه عقاقير إبطال السموم في الجسم، والتي ما زالت حتى يومنا هذا حكراً على الهنود. كما أن الهنود برعوا في التنويم المغناطيسي، والعلاج بالإيحاء المغناطيسي، وكانوا يعالجون في المعابد لذلك كان يطلق على طريقة العلاج في الإيحاء المغناطيسي بنعاس المعبد (شفالييه 2001).

1-1-5الطب الإغريقي

برع الطب الإغريقي (شكل9-1) بالأسلوب المنطقي وامتاز بالبحث التجريبي بعيدا عن التمائم والشعوذة ومن الذين بزغ نجمهم في الطب قبل أبقراط هو القميون القرطون (سنة 500 ق.م) Alcameon of Croton الذي برع في تشريح الحيوانات، والذي أسس علم التشريح وفسيولوجيا الأعضاء، وعلم النفس التجريبي وعرف أهمية الدماغ، وقال بأن العقل موجود في الدماغ، وعند بزوغ نجم أبقراط (شكل 10-1)عام 460 (ق.م) اعتمد اعتمادا كلياً على طب القميون، بل فاقه بكثير من المستويات حتى أصبح يعرف أبقراط بأبي الطب، وينتمي أبقراط إلى أسرة الاسقلبياد Asclepiad

شكل 9-1: أوسكالبيوس الطبيب اليوناني والذي أخذ شعار الأفعى الطبي عنه

التي جاءت من أسرة أوسكلابيوس، وهو الطبيب الذي ورد ذكره في منظومات هوميروس. وقد ولد أبقراط في جزيرة قوص Cos والتي تعدّ أكبر مدارس الطب في العصر القديم.

شكل 10-1: أبقراط

ومما جاء من روائع أبقراط في الطب أن الجسد يعالج على خمسة أضرب، ما في الرأس بالغرغرة وما في المعدة بالقيء، وما في البدن بالإسهال، وما في الجسد بالعروق، وداخل العروق بإرسال الدم، وبرع أبقراط في تشخيص الأورام وكيفية التعامل معها، وذكر أن بعض الأورام تركها أفضل من بترها، لما يعطي فرصة لحياة المريض أطول إذا ما بترت. وما أخذ عن الطب الفرعوني العلاج بالمعبد فقد أشتهر العلاج بالمعابد خاصة للذين لا يقدرون على الإنجاب، وعلاج المعبد أكثر ما كان يقتصر علية هو العلاج النفسي والروحي في معظم الأحيان، وكانت تعطي نتائج ايجابية، كما ويعتمد الطب الأبقراطي على نظرية الطبائع الأربعة وهي: الحرارة واليبوسة، والرطوبة والبرودة، كما و يعتمد على نظرية الأخلاط الأربعة في جسم الإنسان وهي: الدم والبلغم، والسوداء، والصفراء، وحدوث المرض حسب رأي أبقراط هو عدم امتزاج هذه الأخلاط بانتظامٍ، والصحة هو امتزاجها بدقة وانتظام.

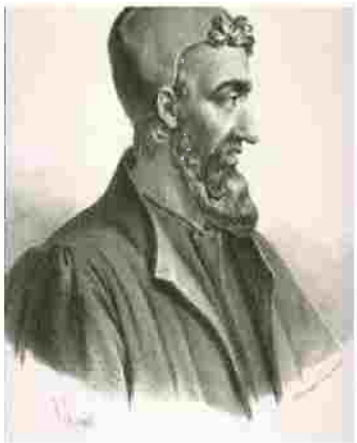

شكل 11-1: جالينوس

ومن عظماء أسرة الاسقلبياد الطبيب جالينوس (شكل11-1) (131-200م) الذي أخذ من أبقراط وأفلاطون وطور نظرية الروح الثلاثية لأفلاطون، حيث إن الروح حسب رأي أفلاطون لها طبيعة ثلاثية، تقطن إحداها في الكبد والثانية في القلب، والثالثة في المخ، وزاد عليها

جالينوس بأن الدم يتكون من إدماج طبيعة الروح الثلاثية. وكان جالينوس طبيباً، وفيلسوفاً، وألف كتباً في المنطق، وبرع في التشريح، وكان أول من أطلق كلمة cancer سرطان على سرطان ثدي المرأة، وعمل جالينوس طبيباً في بلاط الإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس (المراجع السابقة).

1- 2 الطب العربي

1-2-1 طب العصر الجاهلي

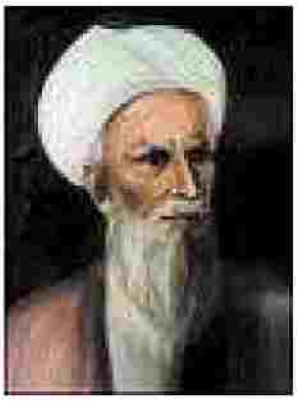

شكل12-1: أبو بكر الرازي

برع العرب وأبدعوا في مجال الطب، وبالذات طب الأعشاب، والتاريخ خير شاهد على ذلك، خلافاً لما ذكر عن جهلهم في الأمور العلمية بمقارنتهم مع نظرائهم من الفرس والروم، مع أن ما وصلنا منهم إلا النذر اليسير، ولعل لقمان الحكيم خير دليل على صحة ما نقول، ولقمان الملقب بالحكيم على أغلب الأقوال أنه كان حكيماً وليس نبياً، قال الله تعالى في سورة لقمان: ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنى حميد". ومن حكمه لابنه قوله: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة، يا بني لا تأكل شيئاً عن شبع، فإن إلقاءك إياه للكلب، خير لك من أن تأكله. كما كان يقول لمولاه لا تُطِل الجلوس في بيت الخلاء، فإن طول الجلوس على الحاجة يتعب الكبد، ويكون منه الباسور. كما أسس العرب علوم القيافة، والفراسة، والكهانة، والعرافة، والزجر، والتنجيم، وغيرها من العلوم ذات المعتقدات الباطلة.

ومن أشهر أطباء العصر الجاهلي: الحارث بن كلدة: طبيب العرب في زمانه، من الطائف، تلقى العلوم الطبية في بلاد فارس ورأس عيادة كسرى أنو شروان، وعندما مرض سعد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء الحارث كي يعالج سعداً مما أصابه. وكان الحارث عالماً بأمور الطب وأحوال الجسد وتقلباته، وكان لا يحب

إعطاء الدواء إلا إذا دعت الحاجة إليه، وكان يقول من سره البقاء فليبكر الغداء وليخف الرداء، وليقلل من غشيان النساء". ومن جهابذة الطب الجاهلي أيضاً النضر بن الحارث بن كلدة، وابن أبي رمثة التميمي، وابن حزيم، والشمردل بن قباب الكعبي (خنفر1995م وسالم 1988م).

2-2-1 الطب الإسلامي

ومع بزوغ فجر الإسلام ونزول القرآن وبعثة النبي علية السلام أنار الإسلام على البشرية ينابيع العلوم والمعرفة، فقد حث الإسلام على طلب العلم والاستقاء من معينه، بل وجعل درجة الذين يعلمون أعلى من الذين لا يعلمون قال تعالى: "قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب". 9 سورة الزمر . فكان الطبيب الأول، والمعلم الأمثل، والقائد، والأسوة الحسنة لهذه البشرية هو "محمد" عليه أفضل الصلاة والتسليم. واستقى سيد البشرية تعاليمه من القرآن الكريم الدستور العالمي القويم، الذي لا لبس فيه، ولا غموض، والذي تحدى به سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" البشرية كافة على أن يأتوا بمثله كدليل على صدق نبوته. والقرآن الكريم يزخر بالآيات المفصلات في العلوم المختلفة، ودروس الحكمة، والمعرفة، قال تعالى:"وفي أنفسكم أفلا تبصرون". 21 الذاريات. ومن الآيات القرآنية التي تبين أن الشفاء من الله، قوله تعالى : "وإذا مرضت فهو يشفين" 80 سورة الشعراء. من هذا المعين نهل سيد المرسلين، فتدفقت ينابيع الحكمة والعلم من جنباته التي أصبحت نبراساً لمن أراد أن يستضيء به، وصارت مرجعاً دقيقاً لكل طبيب حاذق وعارف، ومن أحاديثه النبوية التي تعد في مجال الطب، ويستند إليها، والتي تعدّ قواعد وزبدة ما توصل له الطب الحديث في طرق المعالجة قوله عليه السلام" الشفاء في ثلاثة: شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية من نار، وأنا لا أكتوي".

شكل13-1: ابن سينا

البخاري5680. وحث الرسول عليه السلام على التداوي حيث قال عندما سئل عن التداوي: نعم يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً غير داءٍ واحدٍ، قالوا ما هو؟ قال: الهرم. أبو داود 3855، الترمذي 2045. وهناك أحاديث كثيرة تدل على دقة المعالجة النبوية ومطابقة الطب الحديث لها الذي لا يترك مجالا للشك على صدق نبوة ورسالة النبي محمد "صلى الله عليه وسلم"، قال "عليه السلام" في علاج الحمى" الحمى من فيح جهنم فأد بروها بالماء" البخاري 5725. وهناك أحاديث عديدة سوف نوردها في موردها بإذن الله تعالى. وبعد ذلك أخذ الصحابة عن الرسول الله "صلى الله عليه وسلم" وبحثوا ونقبوا، بل جعلوا الأحاديث النبوية الشريفة قاعدة انطلاق لهم فأبدعوا وأنتجوا في هذا المجال حتى أصبحوا من قادة البشرية، وأئمة التاريخ في مجال الطب والمعرفة. وفي العصور الأموية والعباسية كان الخلفاء المسلمون يجزلون العطاء لمن يزيد من المعرفة في أي مجال من المجالات العلمية، ولعل العلوم الإسلامية زادت وازدهرت باطّراد فاق تصور العلماء في هذا الزمان، ولعل ما زاد في ثراء العلوم والفلسفات هو ازدهار حركة الترجمة من الكتب القديمة، فلقد حرص المسلمون على جلب العلوم والكتب العلمية القديمة إذقاموا بترجمتها وتنقيح ما بها من عقائد ضالة وأباطيل واهية، وزادوا عليها النافع المفيد. ولعل من أشهر الأطباء في العصر الأموي معاوية خالد بن يزيد بن معاوية الذي تلقى علومه عن موريانوس وهو راهب رومي، وكان عالماً بالطب وصناعة الأدوية. و منهم أيضاً "تيادوق" الذي عاش في زمن الحجاج وعُمّر عمراً طويلاً وله حكمٌ كثيرةٌ في الطب فكان يقول: (لا تنكح إلا شابة، ولا تأكل إلا لحماً فتياً، ولا تشرب الدواء إلا من عِلّةٍ، ولا تأكل الفاكهة إلا في أوان نضجها، وجُدّ في مضغ الطعام، ولا بأس أن تنام بعد الطعام نهاراً، وإذا أكلت ليلاً فلا تنم حتى تمشي ولو خمسين خطوة، ولا تكثر حبس البول وعليك بالسواك، ولا تدخل اللحم إلى اللحم). وكان يقول: لا تدخل الحمام وأنت شبعان، ولا تجامع النساء على الامتلاء. أما نوابغ العصر العباسي فمنهم الرازي (شكل 12-1)، وأبو القاسم النيسابوري،

وأبو نصر التكريتي، وابن سينا(شكل 13-1)، وابن النفيس. شكل رقم 14-1يبين بعض الأدوات الجراحية المستعملة عند الأطباء المسلمين، (المراجع السابقة).

شكل14-1: بعض الأدوات الجراحية الإسلامية

المراجع

- القرآن الكريم
- مختصر تفسير ابن كثير للقرآن الكريم، إسماعيل بن كثير، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، 2003م.
- الحديث الشريف

1. خنفر خلقي، تاريخ الطب في الإسلام، جامعة الخليل، 2001 م.
2. سالم مختار، الطب الإسلامي. مؤسسة المعارف، 1988م.بيروت.الطبعة الأولى، 1998م. ص10-74.
3. شفالييه أندرو، التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية. أكاديميا 2001م.
4. شمس الدين احمد، التداوي بالحبة السوداء. دار الكتب العلمية، 1995م،
5. مرحبا محمد عبد الرحمن،المرجع في العلوم عند العرب.دار الجليل،بيروت،